أو تنوع. والنمو العضوي نمو حتمي واحدي يستبعد التركيبية الإنسانية وحرية الاختيار. والهجوم الذي تشنه الفلسفات العضوية الحيوية على العقل والتجريد (الذي يتجاوز السطح المادي) هو هجوم على من يرفض المرجعية الكامنة والجسد كصورة مجازية أساسية.

٣ـ تلاحَظ مركزية الجسد في فلسفة كثير من الفلاسفة المحدثين، خصوصاً في أواخر القرن التاسع عشر، حينما يسود الحديث عن «طفرة الحياة» (برجسون)، وعن «الغريزة» (روسو)، و«إرادة القوة» (شوبنهاور ونيتشه)، و«البقاء» (إسبينوزا وداروين ونيتشه)، و«النزعة الديونيزية» (نيتشه)، وأن «الإنسان يخلق ذاته أثناء خلقه لظروف حياته الاقتصادية» (الماركسية). ويمكن القول بأن كل الفلسفات الحسية والسلوكية والمادية، تنكر التجاوز وتجعل من الجسد، بشكل واضح أو كامن، أساس كل شيء، فهو مصدر المعرفة (العقل كمخ، أو كصفحة بيضاء سلبية تتراكم عليها المعطيات). والحواس الخمس هي المصدر الوحيد للمعرفة، والإنسان يُعرَّف في إطار احتياجاته المادية الجسدية وجهازه العصبي وغدده. وبالتالي لا يمكن فصل العواطف عن العقل، أو الجسد عن الروح، أو الحقيقة الموضوعية عن الرأي، أو الذات عن الموضوع، أو أي شيء عن أي شيء آخر!

وتلاحَظ مركزية الجسد والجنس في فكر فرويد (الذي يفوق في أهميته ماركس، خصوصاً بعد سقوط المنظومة الاشتراكية). وفرويد (في كثير من الأحيان) يستخدم مفردات الحلولية الكمونية لتفسير السلوك الإنساني في كليته، وكأن الإنسان جسد محض ودوافع جسدية وجنسية فقط، يعيش متمركزاً حول ذاته الطبيعية في عالم الطبيعة/ المادة. ومن هنا كان تركيزه على الأحلام واللاشعور، وعلى مراحل تطوُّر جسد الإنسان وعلاقته بجسده، فهذه جميعاً عناصر حتمية مادية تُسقِط الإرادة والاختيار الحر.

٤ ـ استخدام الجسد كصورة مجازية ـ كما أسلفنا ـ هو محاولة كمونية مادية أخيرة